دون أسباب

قد لا تكون التسميات التي يطلقها بعض الناس على بعضهم الآخر دقيقة أو يجب التقيد بها، إلا أنني أظن بأن أوشو أشهر معلمي هذا العصر... لو أردنا إيجاز مجمل تعاليم هذا المعلم بكلمة واحدة لن نجد غير « تأمل.»

و لكن عندما يمضي أحدنا في التأمل و يشعر بأن قلبه يزداد انفتاحاً مع تزايده في هذا المضي؛ عندما يشعر بأن قلبه ماثل بين يديه... ماذا إذا فقد في اللحظة نفسها كل معرفة له عمن يكون و لم هو هنا... دون شك سيكون القبول، المراقبة، الضحك و البكاء هو كل ما يستطيع فعله، و دون شك أيضاً فإنه لن يجد اسماً لما حصل فهو مجرد خفقان مع الوجود... عندما يلاحظ عند صحوته بأنه إنسان؛ إنه مجرد وجود إنساني، فهل القبول بذلك هو الشعور الأجمل ؟ ما الذي حصل ؟

obeikandl.com

قد يبدو هذا التساؤل غريباً و سبب غرابته هو أنه غير قادم من الفكر، فالفكر ذكي و بارع للغاية حيث يبتكر أسئلة لا يعلم لها أجوبة حقيقية.

عندما يحصل هذا مع المتأمل و يجب أن يحصل إذا لم يتوقف قبل بلوغ وجوده الداخلي حيث يتغير هناك كل شيء و يتلاشى الفكر المتسائل... قد يكون غريباً أن تواجه جواباً لا سؤال له.

اعتدنا أن يكون السؤال في البداية و يليه الجواب، ولكن لحسن حظنا فالوجود غير مثقف... يقدم الوجود جواباً وعليك أن تبدأ بالتساؤل: ما الذي حدث ؟ من أنا ؟ يغني القلب فرحاً و تملأ الدموع عينيك دون أن تجد لذلك اسماً و لا لغة لكنك تختبر و حسب... تحيط بك كل هذه الألغاز دون أن تجد لها تفسيراً، لكن شيئاً واحداً مؤكداً سيحدث هناك: تتلاشى كل معرفة لديك عمن أنت، لم أنت هنا و ما الهدف... إنها المرة الأولى التي تصادف بها

openkandil.com

حوادث كهذه و لكن تأكد بأنك لن تحصل على أجوبة لتلك الأسئلة مهما حاولت.

حاول أن تسأل نفسك: من أنا ؟ أتعتقد بأنك قادر على الإجابة ؟ ستفرض عملية المعرفة ثنائية فورية بين العارف والمعروف، و أنت هنا عارف هنا فلا يمكنك أن تكون المعروف... قد يستغرق بعض الوقت القبول بحقيقة أنك أنت دون أي اهتمام بمن تكون.

لم أنا هنا ؟ لم أنت هنا ؟ لم الأشجار هنا ؟ لم هذه السماء المملوءة بالغيوم هنا ؟ لم كل شيء في هذا الكون هنا ؟

لا نستطيع العيش بهدوء مع كل هذه البراءة لذلك بدأنا باختلاق أجوبة خرافية... « خلق اللّه العالم لذلك فالعالم هنا » و لكن هل تساءل أحدنا يوماً « لم اللّه هنا ؟ »

في النهاية و النهاية هي البداية و هي اللحظة فإن كل شيء هنا و ببساطة دون أية أسباب، و في اليوم الذي نتمكن فيه من قبول هذه الحقيقة دون أي عناء أو تفكير ينفتح أمامنا

operkandr.com

فضاء رحب و رؤيا جديدة و إدراك من نوع آخر يكون فيه كل شيء مقبولاً .

السؤال في حقيقته طريقة لعدم قبول الأشياء كما هي حيث نريد أن نعلم لم هي هنا... قد لا نكون مدركين بأن الدافع لمعرفة هذه الـ« لم » نوع من الخربشة الفكرية، وكلما خربشت أكثر شعرت براحة أكبر لكنك ستدمي نفسك في النهاية.

أن تستريح مع هذه الحياة يعني ألا تتساءل « من أنا ، لم أنا هنا و من أجل ماذا ؟» تجاهل هذه الثلاثية «من، لم، ماذا» و التي هي في الحقيقة ثالوث المسيحية المقدس التي طالما آلمت ماضي الإنسانية حيث تسببت بنشوء جميع الفلسفات و النظريات اللاهوتية و الدينية.

لا يستدعي الموضوع أية نظرية فلسفية أو لاهوتية و لا أي نوع آخر من الألعاب و الخدع الغبية للفكر و لكن اعلم ببساطة بأنك هنا و بأني هنا دون أسباب... لا توجد أسباب لوجودنا هنا و لا توجد أهداف و غايات، و هذا هو جمال

الوجود... يمكنك الآن أن تضحك دون أن يسألك أحد لماذا و يمكنك أن ترقص دون أن يحق لأحد أن يسألك لم الرقص ؟

كان بابلو بيكاسو Pablo Picasso يرسم وردة جميلة إلى جوار أكمة جميلة من الورود... عالماً بأن بيكاسو ليس إنساناً عادياً وقف أحدهم يراقب بتركيز ماذا يفعل... لم يستطع المشاهد ضبط فضوله فسأل « عذراً: لا أنوي المقاطعة لكنني لا أستطيع فهم ما ترسم و لماذا، ما هو هدفك ؟»

نظر بيكاسو إلى السائل و قال « أتظن بأنني أعلم ؟ »

ازدادت حيرة الرجل و سأل « ما دمت لا تعلم فلم ترسم إذاً؟»

فأجاب « لا علاقة للمعرفة بالرسم و لا بأي نوع من الأعمال... انظر إلى ورود الأكمة، هل سألها أحدهم لم هي هنا و ماذا تريد... إذا لم تكن هنا لن يشعر أحد بغيابك... لم يسأل أحد الأشجار و لم يسأل أحد الغيوم و لا

openkanadi.com

زال الحمقى يطاردونني و يسألوني « ما هو ؟» إذا كان الوجود نفسه لم يجب على هذا السؤال فمن أين لبيكاسو المسكين أن يجيب ؟! »

قد يبدو غريباً و غير منطقي ذلك لأننا دائماً ما نسأل عن المعنى و نبحث عنه.

في اللحظة التي نكف بها عن البحث عن معاني الأشياء يصبح كل شيء غاية في الجمال ببساطته.

قالت امرأة غنية لبابلو بيكاسو « لم أرى صورة لإنسان قمت برسمها ، و أنا على استعداد لدفع أي مبلغ تريد مقابل قيامك برسم صورة لي.»

فأجاب « لم يسبق و أن رسمت صورة لإنسان لأنني سأجد نفسي بعد إنهائها مضطراً للإجابة عن أسئلة لا أعلم أجوبة لها ، سأقوم برسمك لو وعدتني بعدم سؤال أي شيء بعد الانتهاء ، و ستكون أول و آخر صورة أرسمها لإنسان. »

شعرت المرأة ببعض الغرور لأنها ستمتلك الصورة الوحيدة التي رسمها بيكاسو و قالت « أعد بعدم سؤال أي شيء ولا

opeikandi.com

تقلق بشأن المال، سأدفع على الفور » حصل بيكاسو على عشرة ملايين دولار على الفور .

رسم الرجل الصورة خلال أسبوع كامل بفترة عمل تتراوح مدتها بين ساعتين وثلاث ساعات يومياً، نسيت المرأة الشرط و هذا ما سيحصل مع أي إنسان سيرى تلك الصورة... كان بيكاسو يرسم بجنون لكن المرأة لم تجد أية علاقة بينها و بين ما يرسم لا بالوجه و لا بالملابس و لا بالجسد أيضاً و لكن عليها أن تكون امرأة جيدة مطيعة لذلك قررت الانتظار حتى نهاية الرسم على الأقل. قال بيكاسو في اليوم السابع « ها هي اللوحة قد انتهت . »

قالت المرأة « لدي سؤال واحد صغير . »

فقال « نسيت الشرط الذي منعني من رسم أية صورة إنسان، ما هو سؤالك ؟ »

فقالت « سؤال صغير فقط، أين أنفي؟ لا أرى لي أي أنف في الصورة و عندما أجده سأتمكن من إيجاد عيني ثم فمي و لكن لا أجد الأنف أبداً ؟ »

أعاد بيكاسو للمرأة مبلغها و قال « عليك الخروج من منزلي...

كنت واضحاً منذ البداية، لم علي رسم أنفك في اللوحة ؟ هل تتنفس الصور ؟ »

كان أمراً جيداً ألا يطلب منه أحدهم بعد تلك الحادثة رسم صورة إنسان فقد كان يرسم ما يشاء... كان على الأقل إذا رسم غيوماً لا يجد نفسه مضطراً للإجابة على أسئلة غبية مثل « أين أنف الغيمة ؟ »

كان بيكاسو واحدة من أعظم العبقريات الوجودية التي عرفتها الإنسانية فلم يرسم لأي هدف كان... كان الرسم رقصه مع الألوان؛ كان يعبر عن الفرح باستخدام الألوان ... لا يمكنك أن تسأل شيئاً عند رؤية الغروب و الألوان الجميلة على الأفق... كانت لوحات بيكاسو جميلة لأنها لم تكن منطقية... لا منطقية في الوجود.

عندما يستغرق أحدنا في التأمل و يجد نفسه عاجزاً عن فعل أي شيء سوى الضحك، البكاء، الرقص و الغناء

obeikandi.com

يكون قد دخل فضاءً غاية في الجمال لكنه و للأسف حمل معه كل عاداته القديمة، أما العجز عن فعل شيء فهو المطلوب الوحيد هناك و لا حاجة لسواه... أما فعل شيء فيعني أنك ذهبت بفضائك الأجمل إلى الجحيم.

نعم، يمكن لك أن تراقب، يمكن لك أن تبكي و أن تضحك، يمكن لك أن تغني و يمكن لك أن تفعل كل شيء يحدث في اللحظة دون أي اهتمام بالعلاقات والصلاة.

دخل بودي دارما Bodhi dharma الصين منذ حوالي ألف و أربعمئة عام... قدم الإمبراطور الصيني في ذلك الوقت و كان اسمه Wu وو، لاستقباله عند الحدود... لا يعد أمراً بسيطاً أن يأتي إمبراطور الصين في تلك الأوقات لاستقبال شحاذ كبودي دارما... كان مريد التأمل يعرف في البوذية بالشحاذ، لا لأنه لا يمتلك شيئاً بل لأنه اكتفى بكنوزه الداخلية و لم يعد بحاجة لشيء يمتلكه...

قدم البوذي يرتدي فردة من حذائه في رأسه أما الأخرى فقد ارتداها كالعادة برجله... من الطبيعي أن يثير تصرف

obeikandl.com

كهذا فضول الملك و غيره لأن التعاليم الكونفوشية التي كانت سائدة في الصين آنذاك كانت تعتبر الإشارة لذلك سلوكاً غير أخلاقي فقد يشعر القادم بالخجل و الارتباك، كما أنه لا يجوز لرجل كالملك التدخل بتفاصيل كهذه بل قدم لسؤال العالم عن التعاليم البوذية و الجوهري فيها.

إلا أن الموقف استثنائي... نسي الملك كل ما جاء لأجله وصرخ رغماً عن نفسه « لم تحمل حذاءً على رأسك ؟ »

فقال الحكيم « لن أدخل دولتك... لن أقيم في دولة لا يمتلك الإنسان فيها حرية ارتداء حذائه في رأسه... كان الحذاء اختباراً لك.»

لم يدخل حدود الدولة و أقام في كهف جبلية عند الحدود... كان محقاً بالطبع، فالحذاء حذاؤه و الرأس رأسه و من أنت كائناً من كنت لتسأل.

كان تدخلاً و توجب على الملك الذهاب و تقديم الاعتذار «لن أغفر لنفسي تدخلي بحريتك.»

openkandi.com

لكن بودي دارما قال « لست بعيداً عن الحدود و يمكنك القدوم عندما تجد لديك سؤالاً مفيداً ذا معنى. »

فقال الملك « لدي سؤال واحد: قدم قبلك العديد من الرهبان البوذيين و افتتحت العديد من الأديرة و المعابد، وضعت كامل مقدرات الامبراطورية لترجمة النصوص والمخطوطات البوذية إلى الصينية و آلاف من الباحثين يعملون... ما هو ثوابي على كل هذه الأعمال الفاضلة ؟ »

فقال البوذي « من الأفضل ألا تقترب مني لأن سؤالك لم يتغير و لا زال سؤال الحذاء نفسه... أتظن بأنك تقوم بأعمال فاضلة ؟ إن سؤالك عن ثواب لقاء أعمال تظنها فاضلة يظهر بأنك لا تختلف عن أي رجل تجارة و لست إمبراطوراً، تحاول أن تتاجر مع الوجود و الوجود ليس رجل تجارة... دائماً ما يحاول رجال التجارة الحصول على الأكثر مقابل عطاء الأقل ليحدث الربح. »

operkandi.com

و تابع قائلاً « لا يرحب الوجود بأمثالك؛ يرحب الوجود بمن يستطيع تقديم كل شيء دون أن ينتظر مقابلاً عالماً بأن كل ما يقدمه ملك للوجود و لا غلاقة له بشيء. »

أتظن بأنك تمتلك شيئاً واحداً لم يهبه لك الوجود ؟ وتسأل عند إعادته عن مقابل و ثواب؛ تسأل عن قوة و مال؛ تسأل عما لا أعلم، فأنت إذاً غير مدرك حتى لأبجدية الاتحاد بالطبيعة... يختفي كل معنى للأخذ و العطاء عندما تدرك بأنك غير موجود ككينونة مستقلة... كنت موجوداً في الوجود و لا زلت موجوداً في الوجود و ستبقى موجوداً هناك... أن تدرك أنك جزء من الوجود يجعلك ترقص؛ أن تدرك أنك جزء من الوجود يجعلك مقدساً لا يشترط أن تكون هناك أسباب للرقص و لا يشترط أن تكون هناك أسباب للاحتفال، و يكفيك أنك موجود و من هذا الوجود يتدفق فرحك، شكرك و صلاتك.

إن ما نحن بحاجته هو دين بسيط دون تعاليم و دون ثواب للأعمال الفاضلة و دون عقاب لخطيئة غير موجدة، فهذا

كله أوهام اختلقها الكهنة و مؤسسو الأديان... تجاهل ماضي الإنسانية المجنون برمته و تعال نحيا و كأننا على هذه الأرض لأول مرة.

عادة ما تطاردنا عاداتنا القديمة لتحرمنا من جمال ما قد نحققه كما في حالة صديقنا المتأمل الذي لم يجد سوى الضحك و البكاء...

تقول عاداته القديمة « ماذا تفعل ؟ أجننت ؟ لم تضحك ؟ لا أرى سبباً للضحك؛ لم تبكي؟ لا أرى ما يستدعي الدموع » علينا أن نفهم عاداتنا القديمة ونتجاوزها؛ علينا ألا نسمح لها بالقضاء على فضاءاتنا الجميلة كما تفعل الأديان.

جميل أن تشعر بأنك مجرد إنسان؛ مجرد وجود إنساني، لكنها عاداتنا القديمة من يصر على التقسيم و إحداث الفئات... هذا وجود إنساني و آخر حيواني كما أن هناك فئة الأشجار... لم كل هذا التقسيم ؟

ألا نستطيع اختبار الوجود ببراءته و صفائه دون أن نمهره بعلامات و إشارات ؟

و هكذا تتبع كل علامة علامة أخرى، في البداية أنا «إنسان» و بعدها تأتي علامة أخرى : أنا «عربي» و لست إفريقياً، و تليها : أنا « معروفي » و لست محمدياً أو بوذياً و ثم : أنا « رجل » و لست امرأة... و هكذا تستمر السلسلة دون أن تنتهي.

اقبل ببساطة أنك أنت و هذه هي هويتك و رسالتك الداخلية، و لا حاجة لعلامات و أسماء كما أنه لا يوجد أكثر من ذلك مما يمكن أن تصبو إليه.

إنها الكل بالكل.

إنها لعظيمة و يصعب احتواؤها؛ إنها سبيل للمشاركة في الفرح.

وقف ثمل في الحانة يوماً و قال للرجل على يمينه «أأنت من سكب النبيذ بجيب سروالي؟» فأجاب الرجل «بالطبع لا.»

openkandil.com

التفت الثمل إلى الرجل على يساره و قال « أأنت من سكب النبيذ بجيب سروالي » فأجاب « بالطبع لا. »

فقال الثمل أخيراً « كما قلت إذاً، فهو عمل داخلي. »

ما الذي حصل إذاً ؟ إنه شيء داخلي و يا لها من متعة « حالة المتأمل و ليس الثمل بالطبع. »

لكننا اعتدنا على البحث عن سبب ما في الخارج؛ اعتدنا على الاستكشاف الخارجي و آلاف من العلماء تبدد حياتها للبحث عن وسائل للاتصال بنجوم بعيدة !!

عليك أن تكون حذراً كي لا يفسدك ماضيك؛ عليك أن تكون حذراً كي لا تفسدك كتبك و نصوصك المقدسة... عليك أن تكون حذراً كي لا يفسدك تاريخك... ما لم تتمتع بهذا الحذر و الوعي ربما تدور مراراً و تكراراً حول النقطة المطلوبة دون أن تصل لغير الضياع.

نادرة هي لحظات بلوغ الأعماق حيث يفقد المتأمل كل معرفة عمن يكون و لم هو هنا، لكن اكتشافه بأنه مجرد وجود إنساني لا يجيبه عن سؤال من يكون فللقرد

مثلاً و عيه فهل يختلف الأمر إذا أدرك أحدنا أنه قرد أو «وجود قردي»

لا يمكننا أن نقبل بأي جواب هنا فجميع الأجوبة قادمة من شروط الماضي و الأفضل التزام الصمت و عدم البحث عن الأجوبة؛ من الأفضل الصمت و قبول نوع جديد من الإدراك مجرد فرح دون أية علاقات و فئات؛ بأننا مجرد وعي؛ بأننا مجرد اندماج مع الوجود دون أية أسباب... بأننا مجرد راقصين رقصة صلاة الشكر.

ليس مهماً أن تدرك من تكون أو ما تكون بل المهم أن تتذكر بأن كل ما تجده من صور و نقوش على وجودك هو صنيعة الماضي و الماضي طويل جداً ، ملايين من سنوات الاختبارات تراكمت فيك الآن و هي حاضرة معك، و ها هو فضاؤك يصبح أضيق و أضيق بسبب تراكم كل هذه الأشياء جيلاً بعد جيل... إن الصعوبة القصوى بالنسبة للمتأمل و المتأمل إنسان هي تجاوز الماضي و دخول اللحظة

openkandil.com

الحالية و العيش فيها بكامل الوعي دون أسئلة لأن الجواب محكوم بالقدوم من الماضي.

انتظر و اسمح لحاضرك بالتعبير عن نفسه ليصبح جواباً يحتاج حدوث الانفجار العظيم لبعض الوقت و الصبر، وعندها يتحرر وجودك من كل السجون و السلاسل و من كل الشروط؛ و عندها تكون أنت لأول مرة... و يا لها من غرابة ... عندما تصبح أنت تصبح الوجود بأكمله

تصبح عندها إزهاراً للورود.

تصبح عندها رقصاً للأشجار و هديراً للمحيط.

و يصبح الصمت عندها صمتك و جمال الصوت جمالك.

في اللحظة التي تتخلص فيها من ماضيك يصبح الوجود بأكمله مملكة لك.

إنها مملكة الآلهة... لا يوجد الله في أي مكان و أنت إله هذه المملكة. المسألة ليست مستحيلة و لكن عليك أن تكون مريداً صادقاً و ستتمكن من تجاوز كل العقبات لتنعم بصمت وجودك.

ophelkandl.com